الفكر النقدي عند جمعية العلماء وصراع المرجعيات

Critical thought at the Association of Scholars and the conflict of references

أحلام بوعلاق *

تاريخ الارسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر

الملخص:

مما لا شك فيه أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلت الجزائر ، تاريخا وحضارة ونهضة وتحررا ، من خلال صمودها وتحديها ومقاومتها لمختلف أشكال الطمس والظلم الذي كان يمارسه الاستعمار في تلك الفترة، سواء على المستوى الأدبي والثقافي والاجتماعي وما إلى ذلك ... فقد أسهمت الجمعية بعدد كبير من العلماء والأدباء والمفكرين... في إصلاح المجتمع الجزائري وإعادة بعث روح العلم والبحث والتحدي فيه ، بالاعتماد على نقد الأوضاع السائدة و بعث أفكار النهضة من خلال الصحافة والمقال والشعر والقصة ... انطلاقا من هنا نتساءل عن موقع جمعية العلماء من النهضة الأدبية في الجزائر ؟ والى أي مدى أسهمت في إثراء البحث النقدي الجزائري ؟

الكلمات المفاتيح: النقد الجزائري، المرجعية، جمعية العلماء المسلمين

Abstract:

There is no doubt that the Association of Algerian Muslim Scholars represented Algeria, history, civilization, renaissance and liberation, through its steadfastness, defiance and resistance to the various forms of obliteration and injustice practiced by colonialism in that period, whether at the literary, cultural, social and so on level... The Association contributed a number A great scholar, writer and thinker... in the reform of Algerian society and the revival of the spirit of science, research and challenge in it, based on criticism of the prevailing conditions and the revival of ideas of renaissance through journalism, essay, poetry and story... Based on this, we wonder about the position of the Association of Scholars in the literary renaissance in Algeria? And to what extent did it contribute to enriching the Algerian monetary research?

Keywords: *Algerian criticism, reference, Association of Muslim Scholars*

****

* جامعة باجي مختار عنابة.

مقدمة:

إننا إذا استعرضنا العوامل البارزة في نهوض المجتمع الجزائري في العصر الحديث سواء في المجال الديني أو الفكري أو السياسي أو الاجتماعي أو الأدبي أو النقدي... فإننا نجمع على جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البارزة في النهوض بالأمة الجزائرية فكريا وثقافيا وأدبيا... ، من خلال إعادة الاعتبار للفرد الجزائري الذي عانى من طمس وظلم الاستعمار الغاشم الذي هيمن عليه ردحا من الزمن .

و مما لا شك فيه أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلت الجزائر ، تاريخا وحضارة ونهضة وتحررا ، من خلال صمودها وتحديها ومقاومتها لمختلف أشكال الطمس والظلم الذي كان يمارسه الاستعمار في تلك الفترة، سواء على المستوى الأدبي والثقافي والاجتماعي وما إلى ذلك ... فقد أسهمت الجمعية بعدد كبير من العلماء والأدباء والمفكرين... في إصلاح المجتمع الجزائري وإعادة بعث روح العلم والبحث والتحدي فيه ، بالاعتماد على نقد الأوضاع السائدة و بعث أفكار النهضة من خلال الصحافة والمقال والشعر والقصة ... انطلاقا من هنا نتساءل عن موقع جمعية العلماء من النهضة الأدبية في الجزائر ؟ والى أي مدى أسهمت في إثراء البحث النقدي الجزائري ؟

أولا : جمعية العلماء المسلمين (المفهوم والنشأة)

إنّ المتتبع لظروف نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يجد أنها نشأت في ظروف مشحونة بالتحدي والسيطرة من قبل المستعمر وتدهور الأوضاع في الأمة الجزائرية على جميع الأصعدة والمجالات ، خاصة في مجال التعليم الذي يعد أساس قيام ونهضة المجتمعات . ففكرة تأسيس الجمعية جاءت بعد دعوة العديد من الكتاب و الأدباء والمفكرين في الصحف العربية والجزائرية إلى ضرورة تأسيس الجمعية، خاصة مع تأزم الأوضاع وتدنيها وتبعا لذلك << اجتمع في الخامس ماي سنة 1931م بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه، إجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة ، وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكّر فيها علماء القطر فرادى، وهي تأسيس جمعية العلماء المسلمين...>>[1].

وقد كان اجتماعهم بهدف صياغة أسس ومبادئ الجمعية ووضع قانونها الأساسي . وقد ضمّت الجمعية جماعة معينة من الأعضاء وقع الإجماع على اختيارهم ، وهذه أسماؤهم : الأساتذة : عبد الحميد بن باديس ، محمد البشير الإبراهيمي ، الطيب العقبي ، محمد الأمين العمودي ، مبارك الميلي ، إبراهيم بيوض، المولود الحافظي ، مولاي محمد الشريف ، الطيب المهاجي ، السعيد اليجري ، حسن الطرابلسي ، عبد القادر القاسمي ، محمد الفضيل اليراتني . وقد ترأس الجمعية الأستاذ عبد الحميد بن باديس وللنيابة عنه الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي ، إضافة إلى تقسيم المهام وتوزيع المناصب على مختلف أعضائها .

ثانيا : مرجعيات جمعية العلماء المسلمين

وقد قامت جمعية العلماء على مرجعيات متعددة كان أبرزها :

1 . مرجعيات دينية : الإسلام هو دين الله الذي وضعه لهداية عباده ، وأرسل به رسله وختمه على يد نبيه محمد الذي لا نبي من بعده ، فالإسلام هو دين البشرية الذي لا تسعد إلا به لأنه يدعو إلى الأخوة بين البشر أجمعين ويدافع عن الحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان ، كما يمجد الإسلام العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير، وينشر دعوته بالحجة و الإقناع، لا بالختل

والإكراه . كما أنّ الإسلام يدعو إلى رحمة الضعيف فيُكفي العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعين المضطر ويغيث الملهوف وينصر المظلوم ويؤخذ على يد الظالم ...

.كما اعتمدت الجمعية على السنة القولية والفعلية الصحيحة التي تعتبر تفسير وبيان للقرآن .

. وسلوك السلف الصالح" الصحابة والتابعين وأتباع التابعين" والتطبيق الصحيح لهدي الإسلام.

.إضافة إلى فهم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإسلام ونصوص الكتاب والسنة.

وهكذا صمد الشعب الجزائري المؤمن بربه وبحقه في وطنه، وتحدى الاستعمار الظالم معتمدا على سلاح الإيمان والدين الإسلامي. كما << إنّ تقديم الجمعية للإصلاح الديني على الإصلاح العلمي ضرورة اقتضاها طغيان الفساد في العقائد حتى أصبح من آثاره اللازمة التزهيد في العلم، وليس معنى هذا أنّ الجمعية لم تحم حول الإصلاح العلمي، فدروس رجالها وأسلوبهم في دروسهم، كل ذلك أمثلة من الإصلاح العلمي ونهج جديد نهجوه له وطريقة تحتذى فيه ، كما كانت دروس رجالها مؤدية لغرضين: لغرض الإصلاح العلمي بأسلوبها ولغتها ومناهجها ونوع كتبها، ولغرض الإصلاح الديني بمعاليها ومواضيعها. >>[2]

2 . مرجعيات إصلاحية :تقوم الجمعية على هدف أساسي وهو الإصلاح، وترى أنّ المصلحة : كل ما اقتضته حاجة الناس في أمر دنياهم ونظام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقرّه أصول الشريعة.

.الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة .

. المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة .

عند المصلحة العامة من مصالح الأمة، يجب تناسي كل خلاف يفرق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجه للشر ثغرة ، ويتحتم التآزر والتكاثف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ثم بقوة الحق و إدراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة . [3]

فقد دعا ابن باديس << المصلحين إلى ضرورة العودة إلى إصلاح العقائد الإسلامية ، وشرح المصطلحات ، وحل القضايا على نمط سلفي واضح بصريح نص الكتاب والسنة الصحيحة لا برأي الجبرية والقدرية وغير ذلك من الآراء الفلسفية ... >>[4]

وتبعا لذلك ألقى الشاعر محمد العيد قصيدة بعنوان (حزب مصلح)* في مأدبة أقامتها جمعية العلماء في نادي الترقي، داعيا إلى أنّ أهداف الجمعية ليست سوى إصلاح وإنارة الأمة الجزائرية والنهوض بها لمسايرة متطلبات العصر :[5]

سر مع التوفيق فهو الدليل حصحص الحق وبان السبيل

عاطني السراء كأسا بكأس واسقنيها إنها سلسبيل

زال عن موقفنا كل ريب فهو كالمرآة صاف صقيل

نحن حزب مصلح سلفي مُعرقُ في المؤمنين أصيل

طوع أمر الله ما جدَّ جد في التصاريف و جلَّ جليل

إن تكن نعمى فحمد كثير أو تكن بلوى فصبر جميل

هذه آياتنا شاهدات سوف يتلوهن جيل فجيل

من يعش حرا على الأرض يوما فله في الناس عمر طويل

قد رفعنا راية المجد عليا و بنا للمجد جَّ الرحيل

من يقل لا تأمنوا الغدرَ قلنا حسبنا الله ونعم الوكيل

3 .مرجعيات مشرقية : وتقوم على التأثر بالدعوة والحركة الإصلاحية التي دعا إليها محمد عبده في المشرق والتي سعى من خلالها إلى تعميمها في كامل الوطن العربي، حيث نلمس تأثر جمعية العلماء تأثيرا واضحا بالحركات الإصلاحية في المشرق العربي، واتخاذها مرجعا لها في فكرها ومبدئها وأسسها، << فالشعراء الجزائريون باعتبارهم دعاة إصلاح ديني واجتماعي، كان حماسهم يتقد بشدة نحو الانتماء إلى الأمة الإسلامية ، يتضح ذلك جليا في الموضوعات التي كانت تحويها صحف ومجلات الحركة الإصلاحية الهادفة في مجملها إلى إحياء النخوة العربية في المجتمع الجزائري ، وربطه مشرقيا ، حفاظا على هويته ...>> فكان أدب ونقد وشعر المدرسة المشرقية أهم مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين نسجوا على منوالها في كتاباتهم وأدبهم ونقدهم ...و عموما فالأدب الجزائري يعتبر امتدادا طبيعيا للأدب العربي عامة ، في كونه أدب كفاح وتحدي في تعبيره عن قضايا العروبة والقضايا الإنسانية عامة وهدفه الارتقاء بالأمة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة .

4 . مرجعيات أدبية : وذلك من خلال اعتماد الجمعية على الأدب من شعر ونثر وخطابة ومقال ... لإحياء النهضة الأدبية في الجزائر . و خير دليل على اهتمام جمعية العلماء بالأدب والشعر يكمن في قول الأستاذ محمد العيد آل خليفة، الذي رافق أدبه وشعره النهضة الأدبية والنقدية في الجزائر حيث نجده يثني ويؤكد على دور الأدب في حياة الأمم قائلا :

أنا ابن جدّي و قومي السادة العرب وحرفتي ما حييت: الشعر والأدب

أنفقت وقتي في شعر وفي أدب لا شغل عندي إلا : الشعر والأدب

ولا غداء به أحيا بغير طوى منعم البال إلا : الشعر والأدب

أسالم الناس في عيشي فإن عمدوا إلى خصامي فسيفي : الشعر والأدب

و إن دعاني قومي أن أناصرهم فعُدّتي في انتصاري : الشعر والأدب

قل للملوك مقالا من أخي ثقة دليلُه في الحياة : الشعر والأدب

لا ملكَ لا عزَّ فيه تفخرون به ما الملكُ والعزُّ إلا : الشعر والأدب

وقل لمن هام في مال له لُبَد ما المال ويحَك إلا : الشعر والأدب

وقل لمن هام في حب الجمال لقد أخطأت إنّ الجمال : الشعر والأدب

وقل لمن هام في رشف المُدام هوى ما نشوةُ الخلد إلا : الشعر والأدب

و ربَّ عاتبة لي في سبيلها تقول لي قد شجاك : الشعر والأدب

ترجو بقائي بلا شعر ولا أدب وما حياتي إلا : الشعر والأدب

فقلت عُفّي وكفّي عن معاتبتي ما نعمة العيش إلا : الشعر والأدب

لقد فنيت غراما فيهما فهُما روحي وما أنا إلا : الشعر والأدب

3 .مرجعيات مشرقية : وتقوم على التأثر بالدعوة والحركة الإصلاحية التي دعا إليها محمد عبده في المشرق والتي سعى من خلالها إلى تعميمها في كامل الوطن العربي، حيث نلمس تأثر جمعية العلماء تأثيرا واضحا بالحركات الإصلاحية في

المشرق العربي، واتخاذها مرجعا لها في فكرها ومبدئها وأسسها، << فالشعراء الجزائريون باعتبارهم دعاة إصلاح ديني واجتماعي، كان حماسهم يتقد بشدة نحو الانتماء إلى الأمة الإسلامية ، يتضح ذلك جليا في الموضوعات التي كانت تحويها صحف ومجلات الحركة الإصلاحية الهادفة في مجملها إلى إحياء النخوة العربية في المجتمع الجزائري ، وربطه مشرقيا ، حفاظا على هويته ...>>[6] فكان أدب ونقد وشعر المدرسة المشرقية أهم مرجعيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين نسجوا على منوالها في كتاباتهم وأدبهم ونقدهم ...و عموما فالأدب الجزائري يعتبر امتدادا طبيعيا للأدب العربي عامة ، في كونه أدب كفاح وتحدي في تعبيره عن قضايا العروبة والقضايا الإنسانية عامة وهدفه الارتقاء بالأمة الجزائرية خاصة والإسلامية عامة .

4 . مرجعيات أدبية : وذلك من خلال اعتماد الجمعية على الأدب من شعر ونثر وخطابة ومقال ... لإحياء النهضة الأدبية في الجزائر . و خير دليل على اهتمام جمعية العلماء بالأدب والشعر يكمن في قول الأستاذ محمد العيد آل خليفة، الذي رافق أدبه وشعره النهضة الأدبية والنقدية في الجزائر حيث نجده يثني ويؤكد على دور الأدب في حياة الأمم قائلا :[7]

وحرفتي ما حييت: الشعر والأدب
أنفقت وقتي في شعر وفي أدب لا
شغل عندي إلا : الشعر والأدب
ولا غداء به أحيا بغير طوى منعم البال إلا : الشعر والأدب
أسالم الناس في عيشي فإن عمدوا إلى
خصامي فسيفي : الشعر والأدب
و إن دعاني قومي أن أناصرهم فعُدّتي في
انتصاري : الشعر والأدب
قل للملوك مقالا من أخي ثقة دليلُه في الحياة
: الشعر والأدب
لا ملكَ لا عزَّ فيه تفخرون به ما الملكُ والعزُّ
إلا : الشعر والأدب
وقل لمن هام في مال له لُبَد ما المال ويحَك
إلا : الشعر والأدب
وقل لمن هام في حب الجمال لقد
أخطأت إنّ الجمال : الشعر والأدب
وقل لمن هام في رشف المُدام هوى ما
نشوةُ الخلد إلا : الشعر والأدب
و ربَّ عاتبة لي في سبيلها تقول لي قد
شجاك : الشعر والأدب
ترجو بقائي بلا شعر ولا أدب وما حياتي إلا : الشعر والأدب
فقلت عُفّي وكفّي عن معاتبتي ما
نعمة العيش إلا : الشعر والأدب
لقد فنيت غراما فيهما فهُما روحي وما أنا إلا
: الشعر والأدب

فالتراث الأدبي والنقدي والعلمي والثقافي يربط الأمة بماضيها ومستقبلها، وهو ضمان لحفظ كيانها وتدعيم بنيانها .

ثالثا: أهداف الجمعية

هي جمعية إرشادية تهذيبية، وكما صرح الأستاذ البشير الإبراهيمي أنّ الجمعية قد << أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية، فأما إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يقام بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق ... وأما إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن

أسراره ومكنوناته... وأن اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشري، وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها...>>[8]. محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتمنعه القوانين الجاري بها العمل ، كما تتذرع الجمعية بالوصول إلى غايتها بكل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها ، فبالإضافة إلى ذلك تسعى الجمعية إلى تأسيس شُعب ومراكز في القطر و أن تفتح نوادي ومكاتب حرة للتعليم " أطفال ، نساء ، رجال "

رابعا: النقد الجزائري وفكر جمعية العلماء

إنّ الحديث عن النقد الجزائري يضم قضايا متعددة لعل أبرزها قضية الوعي النقدي ومدى تمثله وتجسده في الممارسة النظرية والتطبيقية ، ومن المعروف أنّ النقد الجزائري مرّ بنفس الظروف التي طرأت على النقد العربي من حيث المفاهيم والمنهجيات . ولعل حديثنا عن النهضة الأدبية والنقدية في الجزائر يأخذنا بصورة مباشرة إلى جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لعبت دورا مهما في بعث وإحياء الأدب الجزائري من خلال كتابات أدبائها وشعرائها الذين اهتموا بالأدب وعملوا على بعثه بصورة جديدة ، << ولا مراء في أنّ الأدب قد لعب خلال التاريخ دورا كبيرا جدا في ثورات الشعوب وحركاتها الاستقلالية والاجتماعية ، وذلك لأنه وإن لم تكن هناك علاقة وثيقة بين معنويات الحياة وماديّاتها إلا أنّ إدراك تلك العلاقة قبل أن تصبح أمرا واقعيا محسوسا لا يأتي لعامة الناس ، فما يسمى استقلالا أو حرية قد تتعشقه النفوس الكبيرة لذاته ، وأما جمهرة الشعب فلا بد أن تُدفع إلى ذلك ، لابد أن توضح العلاقة بين هذه المعاني وبين المعاني المادية اليومية حتى يغضب الشعب لتلك المعنويات وكذلك الأمر في الحركات الاجتماعية ، فالبؤس المادي ذاته لا يحرك بل يحركها الوعي به ...>>[9] وتبعا لذلك حرص زعماء جمعية العلماء انطلاقا من ابن باديس والبشير الإبراهيمي وغيرهما حرصا شديدا على بناء النهضة الفكرية والأدبية تستمد مضامينها من الدين الإسلامي والأوضاع المعيشة في المجتمع الجزائري سواء اجتماعية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية ومن ثمّ << فإن العنصر السياسي أو الديني أو الاجتماعي أو الاقتصادي أو الإصلاحي ، إذا سيطر على حركة أدبية ليس معناه أنّ هذا الأدب دين أو سياسة أو نحوهما ، ولكن معناه أنه أدب حي ملتزم يهتم بالفرد من حيث ما هو مضطرب في مختلف مناكب الحياة...>>[10] وقد تميزت تلك الفترة بغياب النقد الجدي في الجزائر الذي يأخذ بيد الأدباء والشعراء والنقاد وينير لهم الطريق ويوجههم << ولعل هذا ما جعل الأديب الناقد **محمد مصايف** يرى أنّ الساحة الأدبية كانت خالية من النقد ، الأمر الذي دفع الشعراء إلى استيراد التجربة الجديدة في المشرق . >>[11] وتبعا لذلك تصدت جمعية العلماء في تلك الفترة لعمليات التشويه والتغريب التي تعرض لها المجتمع الجزائري ، فكانت جهود أعضائها أبرز مثال على ذلك، وسنعرج على جهود أبرز أعضائها ، وهو رئيس الجمعية الأستاذ عبد الحميد بن باديس الذي يمثل مبادئ وأهداف وجهود جمعية العلماء المسلمين.

* **عبد الحميد بن باديس :** رائد الإصلاح الديني والتربوي والأدبي والثقافي في الجزائر ، ولد في الرابع من كانون الأول 1883 من أسرة بربرية عريقة اشتهرت بالعلم ، ويرجع أصلها إلى المعز بن باديس الصنهاجي (1014 . 1062)، مؤسس الدولة

الصنهاجية الأولى التي سبقت دولة الأغالبة . ومن أجداده العباس بن باديس أحد وجوه قسنطينة ومن أشهر علمائها ، وقد حصل مكي باديس وهو جده لأبيه على وسام نابليون الثالث سنة 1864 ، وأما أبوه محمد المصطفى، فكان عضوا في المجلس الجزائري الأعلى، ونائبا في قسنطينة في المجلس العمالي الأعلى ... وإن تقديمنا لعائلة ابن باديس هو بهدف توضيح مكانة العائلة وانشغالها و وعيها بوضع الشعب الجزائري وما يعانيه من مظالم ، وبذلك كان ابن باديس سليل عائلة إسلامية جزائرية واعية، << إنّ شخصية الأستاذ عبد الحميد بن باديس غنية ومعبرة عن أزمة المجتمع الإسلامي لا تماثلها إلا شخصية جمال الدين الأفغاني في ثرائها وشمولها وجرأتها وتعبيرها عن جوانب المشكلات الاجتماعية ، والأخلاقية والدينية والعلمية والسياسية التي يتخبط فيها العالم الإسلامي... وهو كاتب ذو سلاسة وعذوبة وسهولة، وأسلوبه أسلوب سهل ممتنع، لا يستعمل السجع ولا يتكلفه، كيف لا وهو الدارس لكتاب الأمالي وديوان الحماسة، وديوان المتنبي، ومقدمة ابن خلدون، والعواصم من القواصم، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، ومن قبل ذلك كله، معجزة الأدب العربي وآية روعته: القرآن وجمال حديث صاحب جوامع الكلم وأفصح من نطق من بني العرب، وهو شاعر يفيض الشعر من قلبه وخطيب لا يتلعثم ولا يتردد، يستولي على النفوس ويملك العقول...>>[12] فقد << أعطى لدعوته منذ 1939 بعدها القومي العربي والديني الإسلامي، كما أعطاها بعدها الإنساني في نظرة إصلاح متجددة ضمن إطار الشريعة الإسلامية... ويعتبر ابن باديس مع إخوانه أعضاء جمعية العلماء روّاد الإصلاح في الجزائر، الذي دعا إليه الإمام محمد عبده في المشرق، وكان لدعوته استجابة ملحوظة في المغرب.>>[13] حيث يقول محمد العيد في قصيدة (**رسم الإمام ابن باديس**) :[14]

هذا ابن باديس في القرآن مفتكر يجلو معانيَه كالدُّرّ والماس

أحيا الجزائر بالعرفان فانتعشت و ذاد عن حقها بالعزم والباس

و ودَّ من شعبه أن يستجيب له ويستنير من الذكرى بمقباس

فكن له سامعا إن رُمتَ منزلة رفيعة القدر عند الله والناس

ولا شك أنّ ابن باديس عنوان كبير في تاريخ اليقظة الجزائرية الشعبية والفكرية التي أعلنت رفضها للاستعمار، بالاعتماد على شتى الوسائل والطرق التي كان أبرزها الأدب الوسيلة الأمثل للتعبير عن الواقع الجزائري وانتقاد سياسة الظلم والهيمنة التي يمارسها المستعمر على الشعب الجزائري ، << وإذا كان كثير من مثقفي الجزائر قبل ابن باديس، كانوا يعتنقون مثل ما كان يعتنق هو من آراء، فإن أولئك المثقفين لم يصدعوا بالدعوة ولم ينهضوا لنشرها بين المواطنين، ولم يغامروا في تحدي الاستعمار على ضراوته وشراسته وحقده على العربية وأهلها والإسلام الصحيح ومعتنقيه ، فابن باديس هو أول من صدع بالدعوة جهارا، وانبرى لإذاعتها بين الشعب الجزائري على اختلاف طبقاته ... ومن أعظم مظاهر ثورته تأسيسه مدارس عربية تدافع عن الشخصية الجزائرية، وتنافح عن أصالة عروبتها من أن تطغى عليها العجمة والرطانة ...>>[15] خاصة في ظل الأوضاع الراهنة والصراع القائم بين الثقافة واللغة الفرنسية التي تعد دخيلة على الأمة الجزائرية واللغة العربية لغة الشعب الجزائري . ومن هنا تجسد دور جمعية العلماء في ظل هذا الصراع حيث << قام الأستاذ الرئيس ابن باديس وعرض على الناس الحالة الأدبية للجمعية في

خطاب استثار الحماسة والحمية في النفوس، والنخوة في الرؤوس، وأسال في العيون الدموع والعبرات وكان خطابا محكما وجيزا، وكان آية من آيات البيان...>>[16] لذلك اهتم ابن باديس بالأدب والكتابة الأدبية لأنه أدرك << أنّ الأدب يمثل الانطلاقة الشعورية العالية في ثقافة ما، يحتاج دائما إلى الصقل والتجديد بالمناقشة والنقد حتى لا يتجمد ويصبح يدور حول نفسه >>[17]و ما ميز جمعية العلماء المسلمين هو جهودها النقدية من خلال إصدار الكتب والمجلات والجرائد من جهة وبناء المساجد والمدارس من جهة أخرى ، إذ أنّ << العملية النقدية ضرورية في أية حركة تقوم على منهج ونظام ، يهدف إلى تحقيق أهداف معينة ، و إلى تسجيل غايات في الواقع التاريخي... لأنّ جوهر التغيير الاجتماعي والإصلاح النفسي والخلقي، يقوم على أساس النقد، والحركة الإصلاحية في الجزائر قامت على الصراع بين ظاهرتين: ظاهرة النقائص والعيوب، وظاهرة الفضائل والاستعداد النفسي لتقبل الحقيقة...>>[18] لذلك قام الفكر النقدي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على الصراع بين الاستعمار ومخططاته التي تهدف إلى تجهيل وتضليل الشعب بشتى الطرق، وبين الحركة الإصلاحية التي تحملها الجمعية وتسعى لتجسيدها ، ويبقى الشعب هو محور الصراع ، ويرى ابن باديس أنّ << الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من أصول الكمال واستعدادات عظيمة للخير وهو ما عمل على تنميته والنضال من أجل تغليبه على جوانب النقص وعوامل السكون ... ويصف الأمة الجزائرية بأنها أمة معوانة على الخير منطوية على استعدادات الكمال وأنها ذات نسب عريق في المحامد والفضائل...>>[19]

وقد انتقد ابن باديس المناهج التربوية لعهده وطرق التدريس لأنه يرى أنها لا تؤدي إلى تحقيق أغراض ونتائج ايجابية << ومن وجوه النقد التي يوجهها إلى طرق التدريس في المغرب الإسلامي، الاقتصار على دراسة الفروع الفقهية دون الرجوع إلى الأصول ودون الاعتماد على الاستدلال والتعليل والقياس... ويقترح تدريس اللغة والنحو والصرف ، وتاريخ الأدب العربي والإنشاء وحسن الأداء في القراءة والإلقاء ...>>[20] كما اهتم ابن باديس بمسألة تعليم المرأة فقد كانت الجمعية على دراية بما للمرأة من أهمية في بناء المجتمع، لذلك وجب تعليمها وإنقاذها مما هي فيه من الجهالة العمياء . ويرى الإبراهيمي أن جهود ابن باديس في خدمة الدين واللغة والأدب من خلال الدروس التي ألقاها وعمل على نشرها في المجلات والجرائد تعد << أقوى الآثار في تكوين هذه الملكات وتقويم هذه الألسنة وتثقيف هذه الرماح، فمن تلامذته كتاب القطر اليوم، ومن تلامذته شعراء القطر اليوم، ومن تلامذته المفكرون والدعاة الذين هم دعائم الحركة الإصلاحية ، وقد أصبح الطراز الأدبي الجزائري طرازا مستقلا يُحتذى به ليست عليه مسحة التأثر والمحاكاة ...>>[21]

والواقع أنّ الفكر النقدي عند جمعية العلماء الذي يحمله رجالها يهدف إلى إصلاح الأمة الجزائرية والنهضة التي تؤدي إلى الحضارة ، وترى الجمعية أول خطوة لتحقيق الحضارة هي تكوين الإنسان وربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات الاجتماعية ، وتثقيف أفكار الفرد بالعلم والأدب . ولم تتوقف جهود الجمعية عند ابن باديس بل امتدت جهودها على يد أعضائها.

وكان **البشير الإبراهيمي** أبرز من أسهم في ترقية أفكار الجمعية ونشر فكرها في كامل القطر الجزائري، << فهو رائد الثقافة العربية في الجزائر، كان رجل عقيدة وعمل، وله فضل كبير في تكوين نخبة من المتعلمين من الشباب الجزائري تكوينا

عربيا إسلاميا ووطنيا ، فقد كان من حاملي هموم الجزائر المسلمة العربية ، كتب في تقرير رفعه إلى مؤتمر جمعية العلماء: إنّ الوطن أمانة الإسلام في أعماقنا و وديعة العرب في ذممنا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف ، وأن لا سبيل إلى ذلك إلا بالمدرسة التي تبنيها الأمة بمالها لتقويم الألسنة وتمتين الإرادات والعزائم...>>[22] ويرى الإبراهيمي أن فكر وأهداف جمعية العلماء << يرتاح لها الساري في ظلمات الليل، لأنه يرى فيها العنوان الصادق على قرب الخروج من المعاسف والخبط في مضلات السبل، ويرتاح لها المهموم الساهر الذي يبيت يراعي النجوم لأنه يرى فيها متنفسا لهمّه وسببا لسلواه وإن لم تكن حدا لبلواه، ويرتاح لها الناسك لأنه يسمع فيها الداعي المثوب بعبادة ربه، ويرتاح لها الشاعر لأنه يرى فيها مسرحا لخياله وأفقا لروحانيته ... إنّ وجود الجمعية هو وجود الحقائق الخالدة ... إنّ هذه الجمعية كالسحاب ساقه الله إلى بلد ميت فلا يُقلع حتى يحييه، وإذا كان إحياء المطر للأرض معنى فوق التحديد فكذلك معنى هذه الجمعية، وإنّ سائق المطر للبلد الميت هو سائق هذه الجمعية لهذا الوطن المشرف على الموت ... إن المهمة التي تقوم جمعية العلماء المسلمين بأدائها وهي السير بهذه الأمة إلى الحياة من طريق العلم والدين...>>[23]

خامسا : جهود جمعية العلماء الأدبية والنقدية والثقافية

بالإضافة إلى جهود جمعية العلماء التي ذكرناها ، يمكن أن نضيف دور الجرائد والكتب التي كانت تصدر عن الجمعية حاملة فكرها النقدي للأوضاع الراهنة ، ودعوتها الإصلاحية والإحيائية للأمة الجزائرية وهدم العادات السائدة التي سيطرت على الثقافة والأدب والجزائري فكانت :

- **المنتقد :** جريدة أسبوعية أسسها عبد الحميد بن باديس ونخبة من أعضاء الجمعية ، وقد برزت هذه الجريدة << لتلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم، بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخا، فهي لذلك أمة تامة الأمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمة...>>[24] ويظهر الفكر النقدي لجمعية العلماء إزاء الاستعمار وأوضاع الجزائر الراهنة من تسمية الجريدة ، << التي يبين اسمها عن معنى النقد الذي كانت تخشاه أرباب الطرقية وتقاومه في مناهج تربيتها للمريدين و للجمهور بتلك العبارة المعروفة " اعتقد ولا تنتقد" ... وما جاء في مبدأ النقد أنه لا يتعرض للأشخاص، فيما يختص بأحوالهم الشخصية وإنما يتوجه إلى سلوكهم الذي يمس شؤون الأمة فانتقدت الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء ومن يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين...>>[25] فكان النقد هادفا إلى تبيين الحقيقة و التعبير عن إرادة التغيير لكشف الداء ومعرفة الدواء .
- **الشهاب (1925 . 1939):** كانت عبارة عن مجلة أسبوعية أول الأمر، ثم لم تلبث أن أصبحت شهرية ، فهي من جهود ابن باديس والجمعية ، جسدت << لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري ولم يكن يومذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه ومجده ، وقبح له دينه وقومه وحقره في نفسه تحقيرا ...>>[26] كان شعار الشهاب متمثلا في أربعة ألفاظ هي: (الحرية، العدالة، الأخوة، السلام)

حملت الجريدة فكر رجال الجمعية وتطلعاتهم وتعبيرهم عن حقيقة الأوضاع في أبحاثهم ومقالاتهم سواء شعرا أو نثرا ، << ولو تصفحنا أعدادا كثيرة منها لوجدنا محمد العيد ومحمد الهادي السنوسي

و سحنون و الزاهري وأبا اليقظان في طليعة الشعراء الذين كانوا ينشرون أشعارهم بالشهاب، وكانت مواضيع قصائد هؤلاء الشعراء تتناول في معظمها الأحداث التي كانت تدور في الجزائر أو في كل قطر من أقطار الوطن العربي وكانت هذه الأشعار في معظمها تمتاز بالمسحة الوقارية المتزنة...>>[27]

● **البصائر :** وقد سبقت البصائر صحف ثلاث أخرى وهن : السنة والشريعة والصراط ، وكانت كل منهن تصادر من قبل الاستعمار الفرنسي الذي سعى دائما للقضاء على بوادر النهضة الأدبية والعلمية والثقافية والفكرية في الجزائر لأن << التراث الوطني ملك للأمة كلها في مختلف أجيالها الماضية واللاحقة والمحافظة عليه والعمل على نشره من أوكد الواجبات وأشرفها، لأنه وفاء لهذا الماضي الوطني وأهله ولأنه الصلة الايجابية الفعالة بين ماضي الوطن وحاضره ومستقبله.>>[28] فقد قال الشاعر محمد الشبوكي قصيدة "**طلعت على الجزائر مثل صبح**" يحيي فيها جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة قائلا :[29]

شرحت القلب منا يا بصائر
وعدت لنا بتنوير البصائر
و جددت الروابط بين شعب
لعهد كفاحك الميمون
طلعت على الجزائر مثل صبح
تنفس بعد ليل بات حائر
ذكرنا فيك أعلاما تفانوا مدى
الأعمار في نفع الجزائر
فكانوا رادة الشعب حقا
وفرسان المحافل والمنابر
وكانوا ذادة للدين مهما
ألمت به الشوائب والمخاطر
أعيدي المنهج الماضي أعيدي
و شقي الدرب ترهبك الجبابر
فهاذي الضاد تشكو ما تعاني
وتأبى أن تكون لها ضرائر
وتأبى أن تهمش في حماها
وتأبى أن يحقرها مغامر
و ترجو القمع منك لحاسديها
فقد ملأوا الموارد والمصادر

فكانت هذه الصحف والجرائد لسان حال جمعية العلماء التي سعت للنهوض بالأمة الجزائرية وما تزال حتى اليوم في سجل التاريخ من أبرز الحركات الإصلاحية التي بدأت في فترة حرجة من تاريخ الجزائر ، ولو جاز للجمعية اليوم أن تقول شيئا عن جهودها وانجازاتها العظيمة ، لما زادت عن قول القائل :

تلك أثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار..!

كما نظم الشيخ الشبوكي في ديوانه قصيدة عن جمعية العلماء المسلمين قائلا :[30]

دعوها فإنّ الله قد شق لها الدربا فهبت إلى
الميدان تستهل الصعبا
وتعلن في الدنيا كفاحا مظفرا
أقامت به للدين منطلقا صلبا
فحررت الأفكار في كل لوثة
وحطمت الأصنام تستوحد الربآ
وبارك رب الناس في خطواتها
فحققت المسعى وأيقضت الشعبا
فباهى بها التاريخ في كل محفل
وطبقت الأفاق شهرتها وثبا
معاهدها للناشئين مشيدة
على الجهل والتخريف أعلنت الحربا
تخرج منها في سنين قليلة
رجال تفانوا في جزائرهم حبا
و في كل صقع لاح ناد ومسجد

لكي يستبين الرشد من شاب أو شبا
صحافتها.. أكرم بها من صحافة
تنير طريق الرشد تستبعد الحوبا
ترفعت الأقلام فيها عن الهوى
فلا تجد التغليط فيها ولا الكذبا
وكم نالها العدوان من شر حاكم حقود على
الإسلام تبا له تبا
ولكنها رغم العراقيل واصلت
رسالتها تجلو الظلام متى دبا
فيا لك من جمعية سح غيثها
أعادت إلى الشعب الذي أجدب الخصبا

الخاتمة : ويمكن أن نختم مداخلتنا بمجموعة من النتائج التي توصلنا إليها خلال رحلة هذا البحث والتي كان أهمها:

- أيقظت جمعية العلماء الأمة الجزائرية وبعثتها من مرقدها وذكرتها بعروبتها ودينها في فترة حرجة من فترات تاريخ الأمة .
- مثلت الجمعية ثورة أدبية ونقدية في تاريخ الجزائر من خلال مؤلفات رجالها وجهودهم.
- عملت الجمعية على المحافظة على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها، وتطويرها وتجديدها لأنها مهددة بخطر الذوبان والانحلال والإنكار، فأسهمت في تربية جيل و تكوين أمة وتبصيرها بشخصيتها ومقوماتها.
- أحيت روح الأمة الجزائرية وأعادت لها العروبة من خلال المحافظة على تعليم اللغة العربية، كما حاربت الجمعية سياسة الاندماج والتجنس .
- لم تقصد جمعية العلماء بناء الفرد من الناحية الأخلاقية أو المعرفية فقط ، و إنما ترمي إلى بناء الشخصية البشرية في شمولها وكليتها ووحدتها من حيث طرق التفكير والشعور والعمل... أي إعداد الفرد للحياة بمختلف ميادينها .
- خدمة الوطن تأتي في الدرجة الأولى عند جمعية العلماء ثم الوطن العربي ثم وطن الإنسانية العام .
- قامت الجمعية بإعداد أكبر قدر ممكن من الأساتذة والمعلمين في جميع التخصصات لخدمة ونشر العلم والقضاء على الجهل، كما أسست الكثير من المعاهد في ربوع الوطن رغم القوانين الجائرة ، وكان لذلك أثر كبير في نهضة الأدب الجزائري .
- وعي الجمعية بدور المرأة ووظيفتها الاجتماعية والتربوية لذلك وجب تعلينها وإنقاذها مما هي فيه من الجهل والأمية .

المصادر والمراجع المعتمدة :

1 . أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 .
2 .أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1 ، 1997 .
3 . محمد الشبوكي : ديوان الشيخ الشبوكي ، دار هومه للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2010.
4 .البصائر : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،السنة الأولى ، ديسمبر 1935 .
5 - عمار الطالبي : آثار ابن باديس ،الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997 .
6 . عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، لشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.ط2 ، 1983 .
7. شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة

لهوامش والاحالات:

[1] . أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان ، 1997 ، ط1 ، ص 71 .

[2] . أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت ، 1997 ، ط1 ، ص144 / 145 .

[3] . نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب التحرير والرفض ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، ص388/387 .

[4] . عبد الحميد بن باديس :، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، رواية وتعليق : محمد الصالح رمضان، دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع بالشارقة ، الإمارات ، ط1 ، 1995 ص10 .

[5] . للاطلاع على القصيدة كاملة انظر : شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ، موفم للنشر، الجزائر ، 2010 ، ص 129 / 130 / 131 .

* نشرت هذه القصيدة بالشهاب في نوفمبر 1936 ، وفي العدد 38 من جريدة البصائر سنة 1936 .

[6] . مجموعة من الأساتذة : توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، مطبعة المعارف ، عنابة، الجزائر، ط1، 2007 ، ص 59 .

[7] . شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص 51 .

[8] . أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت ، 1997 ، ط1 ، ص134 .

[9] . محمد مندور : في الأدب والنقد ، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، ص36 .

[10] . عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1983 ، ط2 ، ص13 .

[11] . مجموعة من الأساتذة : توظيف التراث في الشعر الجزائري الحديث ، مطبعة المعارف ، عنابة، الجزائر، ط1، 2007 ، ص53

[12] . للمزيد من التفاصيل أنظر : عمار الطالبي : آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997، ص 90 / 91 .

[13] . نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب التحرير والرفض ، دار العلم الملايين ، بيروت ، لبنان ، ص391 / 394 .

[14] . شعراء الجزائر : ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ، موفم للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص520 .

[15] . عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، مرجع سابق ، ص 31.

[16] . انظر المرجع نفسه : ص 41 .

[17] . أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1983 ، ص 31 .

[18] . عمار الطالبي : آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997 ، ص 70 / 71 .

[19] . عمار الطالبي : آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997 ، ص 76 .

[20] . انظر المرجع نفسه : ص 107 / 111 .

[21] . أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، دار العرب الإسلامي، بيروت ، 1997 ، ط1، ص153 .

[22] . انظر : نور سلمان : الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 297 .

[23] . للتوسع أكثر انظر أحمد طالب الإبراهيمي : آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الجزء الأول(1929 . 1940)، ص 136/ 137 / 138 .

[24] . عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، مرجع سابق ، ص 98.

[25] . عمار الطالبي : آثار ابن باديس ، الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط3 ، 1997، ص 83/82 .

[26] . عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، مرجع سابق ، ص 100.

[27] . انظر عبد الملك مرتاض : نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925 . 1954) ، مرجع سابق: ص 106 .

[28] . البصائر : لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،السنة الأولى ، ديسمبر 1935 .

[29] . محمد الشبوكي : ديوان الشيخ الشبوكي ، دار هومه للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص130 .

[30] . محمد الشبوكي : ديوان الشيخ الشبوكي ، دار هومه للطباعة والنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص 131.